ليلة القدر

غَيَر أسي عزيز اليوم جلبابه المعهود الفضفاض الذي تحركه الريح، كما غير طاقيته الزرقاء بأخرى بيضاء، وأخذ مكان الإمام في هذه الليلة المباركة. لم أره يوما يؤم الجماعة. أهل الدوار، أيضا، لم يروه كثيرا. كان يؤم بالناس قبل أن يتزوج ويستقر في الدوار. كان حينها يأتي من "البيضاء" كما كل أبناء الدوار الذين يسافرون ولا يعودون إلا بعد مرور شهور وربما سنوات. يخلف المتزوجون زوجاتهم في الدوار. وزوجاتهم لا حول ولا قوة لهن. يرغبن في أزواجهن، وفي الخبز. لكن حينما يتذكرن شظف العيش ومرارته، يصبرن، ويمنين النفس متى يعودوا؟ يحلمن بأزواجهن مثلما تحلم المراهقات بلقاء فرسانهن. ينمن وكلهن لذة. يستفقن وكلهن رغبة والرعشة تملأ أجسادهن الطرية الجاهزة للتشظي كقنابل موقوتة جاهزة للانفجار في أية لحظة.

حياة النساء صعبة في الدوار. والدوار لا يرحم أحدا. لا يرحم من يكد ويجد ويعرق، فما بالك بمن يمسك يديه عن العمل آناء الليل وأطراف النهار. زوجات كثر سلمن أنفسهن لرجال متسخين ينعتون بالمجانين أو البوهاليين؛ إذ لا شغل لهم.

تنتظر النساء أزواجهن بفارغ الصبر. يصبرن ويصبرن، لكن دون جدوى. أخيرا يستسلمن لقدرهن، ويرتمين في أحضان الحمقى والمغفلين. على الأقل تلبى رغباتهن الدفينة. وحينما يتحقق الوصال، وتشبع الرغبات؛

يندمن على عدم صبرهن كفاية. هن الآن بين مطرقة الخيانة وسندان التهديد بضرورة إعادة الحادثة. يخترن الثاني لأنهن أصلا يردن الحياة الدنيا وزينتها، فيقعن وسط منشار يأكل منهن كلما صعد ونزل. هن، أيضا، يؤمنن أن أزواجهن لا يمكن ألا تكون لهم خليلات في الغرب.

يفتتح "أسي عزيز" الصلاة بسورة الفاتحة، لكنه يرتبك، ثم يتبعها سورة النساء. حياته كلها كانت مع النساء. ورغم حفظه لكتاب الله، إلا أنه فضل قراءة سورة النساء. ولما سألوه

بعد صلاته. قال: "إنني نسيت ما حفظت منه سوى سورة النساء".

يا للعجب! ينسى كل محفوظه إلا سورة النساء! طبعا. كيف ينساها وحياته كلها كانت مع النساء. فحتى البيت الذي ترعرع فيه كانت فيه النساء فقط. لا وجود للرجال. كان "أسي عزيز" يقرأ إلى أن بلغ آية التعدد في الزواج، ففرح فرحا شديدا. فقد انتبه، وللمرة الأولى، أن بإمكانه الزواج من أخرى.

فكر، وهو يقرأ، في الطلاق. لكنه قال، في نفسه:" إنه أبغض الحلال". أسي عزيز، الآن، يخطئ في القرآن. تخبطت عليه الآيات. ينتقل من سورة إلى أخرى دون أن يترك فرصة للمصلين خلفه ليصححوا له. ربما فكر في نفسه وقال "لمَ لا نقرأ بهذه الشاكلة؟ "هل من الضرورة قراءته بهذا الشكل المرتب؟